بحوث ودراسات

منهج التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل

محمد سعيد حوَّى*

الملخص

لا يخفى على ذي ذهن ثاقب وعقل لازب أثر الحديث عن المستقبل والفتن في الفرد والجماعة؛ ما حتم علينا الوقوف على ما يقع فيه بعض الباحثين والدعاة والوعَّاظ، فضلاً عن العامَّة، من أخطاء ومخالفات وإشكالات، مثل: الاعتماد على الضعيف، والتنزيل الخطأ، والاستشهاد بتواريخ غير صحيحة، مما قد يوقع في كثير من اللبس، أو ينسب إلى رسولنا ﷺ ما لا يثبت، أو يؤدي إلى التواكل والاستسلام، ولهذا كان لزاماً بيان المنهج الدقيق في التعامل مع تلكم القضايا، ولا سيما ما يتصل منها بالفهم، والتنزيل، والنقد، فكانت هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: منهج التعامل مع الحديث، أحاديث الفتن، أحاديث المستقبل، التنزيل الخطأ، التاريخ غير الصحيح.

Approaching the Ahadith on Adversities and the Future

Abstract

It is undeniable the importance of Prophetic Ahadith (sing. Hadith) telling of adversities (*fitnahs*) and the future, which highlights the urgent need to examine errors, problems and irregularities made by some researchers, preachers as well as the public. Examples of such problems include reliance on weak *Ahadith*, inaccurate methodology of applying the text, and using inaccurate dates. Making such mistakes may cause confusion, attributing to the Prophet something he did not say or do, and lead to inappropriate reliance and surrender. The purpose of this paper is to show the importance of explaining the accurate methodology in dealing with these issues, especially as relates to understanding the *Ahadith*, applying them, and subjecting them to appropriate criticism.

Keywords: Approaching Hadith, *Ahadith* on adversities, *Ahadith* on future, Mistaken application, Inaccurate dates

---

* دكتوراه علوم الحديث الشريف، جامعة بغداد، أستاذ في جامعة مؤتة –كلية الشريعة – أصول الدين. البريد الإلكتروني: mshawwa65@hotmail.com

تم تسلم البحث بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٢٨م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٦/٤/٣٠م.

مقدمة:

لا يخفى على ذي لُبٍّ ما لأخبار المستقبل من أثر بالغ في النفس الإنسانية؛ لاشتمالها على المعلومة والتشويق والإثارة والمتعة أو التخويف، وكذا التوجيه والإرشاد في الكثير من الجوانب التربوية والعملية، فضلاً عن الجانب العقدي الذي يتعيَّن علينا الإيمان به؛ مما صح وثبت. بيد أنَّ التعامل مع هذه الأخبار من دون تمحُّص وتثبُّت قد يتسبَّب في حدوث أخطاء منهجية خطيرة، وهو ما يحتم إخضاعها للمنهج العلمي الدقيق.

وبناءً على تتبُّع الكثير من الكتابات[1] والدروس والخطب والمواعظ، فقد لاحظنا وقوع بعض أصحابها في أخطاء وسقطات قد تفضي إلى التواكل، أو القنوط، أو التسرُّع في اتخاذ القرار وإسقاطه على غير واقعه، أو انتشار ظاهرة التدين الشكلي الفردي، والنظرة الجزئية إلى القضايا الشرعية، وتبرير الواقع المعيش، وترك العمل للإسلام.

---

[1] من الكتب التي ورد فيها كثير من الأخطاء، أو اعتمدت ما لا يصح، أو نزَّلت النصوص تنزيلاً غير صحيح؛ ما يحتم التعامل معها بحذر شديد ونقد:

- **اقترب خروج المسيح الدجال**، لهشام كمال عبد الحميد.
- **عمر أُمَّة الإسلام وقرب ظهور المهدي**، لأمين محمد جمال الدين.
- **رد السهام عن كتاب عمر أُمَّة الإسلام**، لأمين محمد جمال الدين.
- **هرمجدون... آخر بيان يا أُمَّة الإسلام**، لأمين محمد جمال الدين.
- **السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان**، لمنصور عبد الحكيم.
- **نهاية العالم وأشراط الساعة**، لمنصور عبد الحكيم.
- **تنبؤات نوستراداموس**، لمنصور عبد الحكيم.
- **الدر المكنون في بيان حقيقة هرمجدون**، لمجدي الشورى.
- **القيامة الصغرى على الأبواب**، لفاروق الدسوقي.
- **المسيح الدجال: قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى**، لسعيد أيوب.
- **أسرار الساعة: هجوم الغرب**، لفهد سالم.
- **احذروا!! المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا**، لمحمد عيسى داود.
- **المفاجأة... بشراك يا قدس**، لمحمد عيسى داود.
- **الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني: القحطاني خليفة الزمن الأخير**، لمجدي الشورى.
- **يأجوج ومأجوج من الوجود حتى الفناء**، لمنصور عبد الحكيم.
- **عشرة ينتظرها العالم**، لمنصور عبد الحكيم.

لذا تتناول هذه الدراسة الإشكالية الناجمة عن الأخطاء التي تغصّ بها الكثير من الخطب والمقالات والكتب؛ إذ تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على أهم الأخطاء المنهجية والعلمية التي رصدها الباحث في التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل. ومن ثمّ محاولة تقديم المنهجية العلمية الصحيحة؛ للإفادة الإيجابية من تلك النصوص، وتجنُّب سلبيات التعامل الخطأ.

وقد وقفنا على بعض الدراسات والمؤلَّفات التي تتصل بموضوع الدراسة، وسنبيِّن فيما يأتي أسماءها وصلتها بالدراسة:

- القواعد والضوابط في فهم أحاديث الفتن، وأشراط الساعة، دراسة عقدية مقارنة، للباحث: خالد بن محمد بن سالم العبدلي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة آل البيت،٢٠٠٨م، بإشراف الدكتور شريف الخطيب. ركَّز الباحث في هذه الدراسة على الجوانب العقدية والفكرية، وموضوع الظنية وكونها آحاداً، ومدى الاحتجاج بها، وهي مفيدة في بابها.[٢]

- استشراف المستقبل في ضوء الحديث النبوي الشريف: محمد بشار الفيضي.[٣]

- استشراف المستقبل في ضوء السنة النبوية: عبد الرحمن قشوع.[٤]

وهذان البحثان يتناولان حديث النبي عن المستقبل، وكيف نفيد منه في حاضرنا ومستقبلنا، وهما مفيدان في بابهما.

- منهج أهل السُّنة والجماعة في مواجهة الفتن: عبد الله بانجوة الشبوي، بحث منشور في موقع منتديات مأرب،[٥] وأهم ما فيه: تأكيد وجوب توحيد الله والإخلاص،

[٢] الجامعة الأردنية، دليل الرسائل الجامعية بالنص الكامل:

- https://theses.ju.edu.jo/Show_Abstract.aspx?par1=JUA0666150?Page=2.

[٣] جمعية الحديث الشريف، دليل الأبحاث المحكمة والرسائل الجامعية

- http://www.hadith-turath.org/researches.

[٤] جمعية الحديث الشريف، دليل الأبحاث المحكمة:

- http://www.hadith-turath.org/researches.

[٥] موقع منتديات مأرب:

- http://mareb.org/showthread.php?t=10488.

والتوبة والعبادة، والاعتصام بالكتاب والسُّنة، والالتفاف حول العلماء، ولزوم جماعة المسلمين، وتحقيق مبدأ الأخوة، والولاء، والثقة بنصر الله، والنظر في عواقب الأمور، والحذر من الإشاعات، ومعرفة مخططات الأعداء، والبُعْد عن مواطن الفتن، والحذر من تسلُّل الأعداء، وقراءة قصص القرآن بتدبُّر.

– معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث: عبد الله بن صالح العجيري. وخلاصة ما فيه أنَّه بيَّن حِكم حديث النبي ﷺ عن الفتن وأشراط الساعة، ومخاطر التنزيل الخطأ، وذكر معالم في تنزيل أحاديث الفتن، أهمها: الاقتصار على النصوص الصحيحة، والتحقُّق من معنى النص وعدم التكلُّف، والرجوع إلى العلماء، والتحقُّق من الواقعة، وعدم محاكمة نصوص المستقبل للواقع.[٦]

– الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وأهم الضوابط الواردة فيه: التأني والحلم، وحسن الفهم، والإنصاف والعدل، ووزن الأمور بميزان الشرع، ومخاطبة الناس بما يعقلون، والموالاة للمؤمنين.[٧]

– سمات المؤمنين في الفتن وتقلُّب الأحوال: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ومن أهم السمات التي ذكرها: البُعْد عن الغضب، واجتماع الكلمة، والسمع والطاعة لولاة الأمر، والرجوع إلى العلماء، وعدم الركون إلى الإعلام المغرض.[٨]

– معالم في التعامل مع الفتن، وفيه أكَّد الكاتب محمد بن إبراهيم الحمد، وجوب جمع الكلمة، وإشاعة روح التفاؤل، والتثبُّت مما يقال، والتروي في إبداء الرأي واتخاذ الموقف، والبُعْد عن مواطن الفتن، وترسيخ الفهم الصحيح للقدر، ومراعاة المصالح والمفاسد.[٩]

---

[٦] كتاب منشور في موقع الدرر السنية الإلكتروني:

- http://www.dorar.net/article/54

[٧] نص محاضرة منشورة في الموقع الإلكتروني لبيت الإسلام:

- http://islamhouse.com/ar/books/468612/

[٨] نص محاضرة منشورة في الموقع الإلكتروني لسبل السلام:

- http://subulsalam.com/play.php?catsmktba=13006

[٩] كتاب منشور في الموقع الإلكتروني لبيت الإسلام:

- http://islamhouse.com/ar/books/172584.

- سبيل النجاة من الفتن، للباحث مصطفى العدوي، وهذا البحث لم يخرج عمَّا ذُكِر.[١٠]

- موقف المؤمن من الفتنة: عبد الله بن صالح العبيلان، وهو بحث لا يخرج مضمونه عمَّا ذُكِر آنفاً.[١١]

بعد الاطلاع على تلكم البحوث لاحظنا أنَّها تتحدَّث عن الموقف من الفتن إجمالاً، وأنَّ بعضها أشار إلى جوانب تتصل بالحديث النبوي؛ فرأينا الحاجة إلى بيان الأخطاء التي يقع فيها بعض الوعَّاظ والأئمة والباحثين في التعامل مع النصوص، ثم تقديم منهجية متكاملة فيها.

وقد جاء البحث في ثلاثة مطالب وخاتمة:

- المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات ذات الصلة، وحِكم ورود أحاديث الفتن.
- المطلب الثاني: أخطاء وسقطات في التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل.
- المطلب الثالث: قواعد وضوابط في منهجية التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل.

أولاً: التعريف بالمصطلحات ذات الصلة، وحِكم ورود أحاديث الفتن

١. أحاديث المستقبل:

ترد أحاديث المستقبل في السُّنة ضمن أبواب أشراط الساعة، وأبواب الفتن والملاحم، وأعلام النبوة. وتُعرَّف أشراط الساعة بأنَّها الأمارات والعلامات التي يعقبها قيام الساعة، أو تلك الوقائع التي تكون بين يدي الساعة مما أخبر عنه النبي ﷺ؛ إنذاراً، أو

[١٠] بحث منشور في الموقع الإلكتروني لكاتبه مصطفى العدوي:
- http://mostafaaladwy.com/play-8111.html.

[١١] بحث منشور في الموقع الإلكتروني لصيد الفوائد، والمكتبة الشاملة:
- http://www.saaid.net/book/open.php?cat=82&book=979.

بشارةً، أو تعليماً وتوجيهاً،[١٢] ويُطلَق عليها أحاديث الفتن والملاحم؛ لما فيها من معنى الاختبار والابتلاء والتمحيص.

٢. الفتن:

الفتنة لغةً: أصلٌ يدلُّ على ابتلاء واختبار.[١٣] أمَّا اصطلاحاً فتُطلَق على: ما يتبيَّن به حال الإنسان من الخير والشر.[١٤] قال المناوي: الفتنة: البلية، وهي معاملةٌ تُظهر الأمور الباطنة.[١٥]

وتُعرَّف الفتنة أيضاً بأنَّها الامتحان أو الاختبار المُذهِب للعقل أو المال، أو المُضِل عن الحق.[١٦]

وأخطر الفتن نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما.[١٧]

---

[١٢] ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري. **النهاية في غريب الحديث**، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت، ج٢، ص٤١٣. انظر أيضاً:
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج١٣، ص٧٩.
- حوّى، محمد سعيد. **الأساس في السُّنة وفقهها: العقائد الإسلامية**، القاهرة: دار السلام، ط٣، ١٩٩٦م، ج٢، ص٩٠١.

[١٣] ابن فارس، أحمد. **معجم مقاييس اللغة**، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٤، ص٤٧٢. انظر أيضاً:
- ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

[١٤] الجرجاني، علي بن محمد بن علي. **التعريفات**، ضبطه وصحَّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٦٥.

[١٥] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي. **التوقيف على مهمات التعاريف**، القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠/ ١٩٩٠م، ص٢٥٦.

[١٦] الكيلاني، ماجد. **فلسفة التربية الإسلامية**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٨٧م، ص١٨٤. انظر أيضاً:
- **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**، تأليف: عدد من المتخصصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام الحرم المكي وخطيبه، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٣٠هـ، ج١، ص٧.

[١٧] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت، ج٢، ص ١٦٥.

وتأسيساً على ما سبق، يُطلَق مصطلح "الفتن والملاحم" على معنى خاصٍّ، ويُقصَد به الأحداث والوقائع التي فيها معنى الاختبار والابتلاء والتمحيص والشدة. ويمكن تعريف أحاديث الفتن والملاحم بأنَّها الأخبار الغيبية المستقبلية التي تحدَّث عنها النبي ﷺ مما فيه ابتلاء وشدة، أو أحداث عظام؛ تحذيراً، أو توجيهاً وإرشاداً.[١٨]

٣. حِكم ذكر أحاديث الفتن وأشراط الساعة:

أ. بيان بعض ما سيكون بين يدي الساعة مما تتزلزل له القلوب، وفيه من الهول والشدة ما فيه؛ فعندما يكون المسلم على علم بها فإنَّه يتلقاها باليقين بدلاً من أن تكون سبباً لزعزعة هذا اليقين.

ب. الإخبار ببعض ما سيحدث يُعِدُّ المسلمَ للتعامل مع هذه الأحداث بما يناسبها؛ سواءِ من ناحية أحكام الفقه، أو من جهة الفهم؛ لئلا تكون سبباً في فتنة أو انحراف.

ت. كشف هذه الأخبار عن كثير من الدعوات الكافرة والفرق الضالة بما يحصِّن المسلم من أن يقع في أحابيلها.

ث. تعرُّف النصوص الصحيحة في هذا الباب يُعمِّق لدى المسلم الأمل؛ لئلا يقع في اليأس؛ إذ يبيِّن مجمل هذه الأحاديث أنَّ هذه الوقائع متغيرة غير ثابتة ولا مستقرة، فضلاً عن بيان سبل مواجهتها.

---

١٨ أُلِّف في هذا الموضوع مؤلَّفات عدَّة، أهمها:
- **الفتن والملاحم**، المروزي، لأبي عبد الله نعيم بن حماد.
- **أشراط الساعة**، لأبي محمد عبد الغني المقدسي.
- **النهاية في الفتن والملاحم**، لابن كثير الدمشقي.
- **الإذاعة لما بين يدي الساعة**، لمحمد صديق القنوجي.
- **الإشاعة لأشراط الساعة**، لمحمد بن رسول الحسين البرزنجي.

يُذكَر أنَّ معظم المصنِّفين في الحديث النبوي الشريف جعلوا أبواباً خاصَّةً ضمن هذا المسمى، مثل: كتاب الفتن في **صحيح الإمام البخاري**، وكتاب الفتن والملاحم **في سنن أبي داود**. وقد صدر في العصر الحديث: **موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة الواردة في الكتب الستة ومسند أحمد**، بإشراف الدكتور همام سعيد. وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على أهمية هذا الموضوع وخطورته، وعناية السُّنة المطهرة بهذا الأمر، ولهذا وجدناها مادة غزيرة ومهمة ليفيد منها المربون والباحثون والوعَّاظ. انظر:
- الكتاني، محمد بن جعفر. **الرسالة المستطرفة**، بيروت: دار البشائر، ط٤، ١٩٨٦م، ص٤٩.
- **موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة**، بإشراف الدكتور همام سعيد، الرياض: مكتبة الكوثر، د.ت.

ج. بيان بعض معجزات النبوة في الإخبار عن غيب سيقع.[١٩]

وإذ يتبيَّن لنا كل ذلك؛ فإنَّه يتأكَّد لنا أهمية حسن التعامل مع أحاديث الفتن والملاحم والمستقبل.

ثانياً: أخطاء وسقطات في التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل

لا شكَّ في أنَّ كثيراً من الباحثين والدارسين وأهل العلم وطلبته والدعاة هم أصحاب درايةٍ وفقهٍ راقٍ في التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل، بحيث ينتقون منها الأصح والأرقى، ثم يوجِّهونها التوجيه الأحسن، ويفهمونها بما يتفق مع مراد النبي ﷺ منها قدر الجهد البشري، ويحسنون تنزيلها على الوقائع، ويعملون بما لديهم من قدرة علمية وحصيلة معرفية على رفع ما قد يرد في بعضها من إشكالات، فضلاً عن حسن اختيار، بما يتفق مع الواقع والعصر أو المخاطب، وهذا لا يمكن حصره. وبالرغم من ذلك فإنَّه توجد بعض الزلات والأخطاء التي يقع فيها بعض طلبة العلم أو الدعاة والوعَّاظ، فضلاً عن عامَّة الناس، في تعاملهم مع أحاديث الفتن، التي لمستُها عملياً من سماعي لبعضها؛ سواء على منابر الجمعة، أو دروس المساجد، أو ما يلقى في الفضائيات الإسلامية، وبعضها من الخطورة بمكان؛ فكان مهمّاً الكشف عن هذه الزلات والأخطاء لنُحذِّر منها، ونصل بعد ذلك إلى المنهج الأصوب في هذه القضية. وفيما يأتي بيان لأهم هذه الأخطاء:

١. الاعتماد على النصوص الضعيفة أو الموضوعة:

لا شكَّ في أنَّ هذا الأمر هو من أخطر ما يقع فيه بعض الباحثين والخطباء والوعَّاظ، ولعل مردّ ذلك الأسباب الآتية:

أ. افتقار بعضهم إلى القدرة على تمييز الصحيح من السقيم، وعدم الرجوع إلى أهل التخصص في ذلك.

---

[١٩] حوَّى، **الأساس في السُّنة وفقهها: العقائد الإسلامية**، مرجع سابق، ج٢، ص٩٠٩.

ب. اعتماد بعضهم على كتب لا تلتزم الصحة، وعدم مراجعة أحاديث هذه الكتب في المصادر المعتمدة التي تُعِين على تمييزها.

ت. اعتماد بعضهم على مبدأ جواز العمل بالحديث الضعيف من غير التزام بالشروط والضوابط الدقيقة التي وضعها علماؤنا للتعامل مع الحديث الضعيف.

ث. اعتقاد بعضهم أنَّ في الضعيف تأثيراً في العامَّة؛ قصد هدايتهم ونحو ذلك، من دون إدراك الأخطار التربوية والشرعية التي قد تترتَّب على ذلك.

ج. عدم انتباه بعضهم إلى ما تحويه الأحاديث الضعيفة من إشكالات ومخالفات؛ كونها ضعيفة، فضلاً عن تصنيف بعض الروايات ضمن الضعيف جداً، أو المنكر، أو الموضوع، ثم استشهادهم بها -بالرغم من ذلك- بوصفها تدور في فلك الضعيف، والأسوء إيهامهم السامعين أنَّ ذلك مما يصح عن رسول الله ﷺ، فيوردون الروايات الموضوعة، أو المشكلة، أو المخالفة شرعاً.

ومن نماذج هذه الروايات أخبار السفياني، وكلها لا تصح،[٢٠] وكذا الكثير من الأخبار التي تفصل في شأن المهدي المنتظر؛ فإنَّها ضعيفة، أو ضعيفة جداً، ثم نجد مَن يوردها من دون تمحيص.[٢١]

ومن أغرب ذلك ما ذكره بعضهم مرفوعاً، في حين أنَّه عن كعب الأحبار. ومع نكارته فإنهم يفسِّرون به أحداث سوريا الحالية (٢٠١٢م- ٢٠١٦م)؛ وهو ما روي عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَجَعَلَ الْجَنَاحَيْنِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَجَعَلَ الرَّأْسَ الشَّامَ، وَجَعَلَ رَأْسَ الرَّأْسِ حِمْصَ، وَفِيهَا الْمِنْقَارُ، فَإِذَا نَقَصَ الْمِنْقَارُ تَنَاقَفَ النَّاسُ، وَجَعَلَ الْجُؤْجُؤَ دِمَشْقَ، وَفِيهَا الْقَلْبُ، فَإِذَا تَحَرَّكَ الْقَلْبُ تَحَرَّكَ الْجَسَدُ، وَلِلرَّأْسِ ضَرْبَتَانِ: ضَرْبَةٌ مِنَ الْجَنَاحِ الْمَشْرِقِيِّ وَهِيَ عَلَى دِمَشْقَ، وَضَرْبَةٌ مِنَ الْجَنَاحِ الْغَرْبِيِّ وَهِيَ عَلَى حِمْصَ، وَهِيَ أَثْقَلُهَا، ثُمَّ يُقْبِلُ الرَّأْسُ عَلَى الْجَنَاحَيْنِ فَيَنْتِفُهُمَا رِيشَةً رِيشَةً."[٢٢]

[٢٠] المروزي، أبو عبد الله نعيم بن حماد. **الفتن والملاحم**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.ص١٩٢-٢٣٠.

[٢١] المرجع السابق، ص٢٣٠-٢٩٠.

[٢٢] المرجع السابق، حديث رقم٦٤٠، وفيه: علي بن طلحة يخطئ، ولم يثبت سماعه من كعب، والنص أيضاً ليس مرفوعاً.

ونظراً إلى خطورة هذه الروايات على الاعتقاد والعمل، فضلاً عن نسبة ما لا يثبت إلى نبينا ﷺ؛ فقد أفرد علماؤنا السابقون كتباً للتحذير من هذه الموضوعات والمنكرات.[٢٣]

٢. عدم تحري الصحة في الأحاديث:

وذلك بأن تروى أحاديث يُعتقد بصحتها، وهي لا تصح، مثل حديث عبد الله بن عمر، قال: "كنَّا قُعودًا عند رسول اللَّه ﷺ، فذكر الفتن فأكثر في ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلَاسِ،[٢٤] فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلاَسِ؟ قَالَ: هِي هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ،[٢٥] دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ،[٢٦] ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ؛[٢٧] تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا؛ حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ؛ فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ."[٢٨] فهذا حديث صحَّحه بعض أهل العلم، ولكنَّ أبا حاتم قال فيما نقله عنه ابنه: "روى

---

[٢٣] مثال ذلك:

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. **الموضوعات**، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، د.ت.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. **العلل المتناهية**، فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية، ط٢، ١٩٨١م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٩٧٠م.
- الألباني، محمد ناصر الدين. **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، الرياض: دار المعارف، ط٢، ١٩٩٢م.

[٢٤] الأحلاس: جمع حِلْس، وهو الكساء الذي يكون على ظهر البعير، وقد شبِّهت الفتنة به لدوامها وملازمتها. انظر:

- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، ج١، ص٤٢٣.

[٢٥] السراء: البطحاء. قالوا: لعلها لإنَّها تزلزل الباطن، وكل شيء. انظر:

- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٦١.

[٢٦] أي: يصطلحون على أمر واهٍ لا استقرار له؛ لأنَّ الورك لا يستقيم على الضِّلَع، والورك: ما فوق الفخذ. انظر:

- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، ج٥، ص١٧٦.

[٢٧] الدهيماء: تصغير الدهماء، وهي الفتنة المظلمة، أو أراد الداهية. انظر:

- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، ج٢، ص١٤٦.

[٢٨] حديث صحيح. انظر:

- أبو داود، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٨م، حديث رقم٤٢٤٤.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، حديث رقم٦٣١٢.

هذا الحديث ابن جابر، عن عمير بن هانئ، عن النبي ﷺ مرسلاً، والحديث عندي فليس بصحيح كأنه موضوع."[29]

٣. التساهل في إطلاق الأحكام النقدية على النصوص:

وهـذه مشـكلة أُخـرى أنَّنـا نجـد بعـض البـاحثين يصـحِّح أحاديـث، ولكـن عنـد إخضـاعها لقواعـد النقـد الحـديثي الـدقيق لا نجـدها تصـحّ،[30] وسـبب هـذا الخلـل هـو التساهل في تطبيق القواعد النقدية، ولعل من أمثلة ذلك حديث: "خذوا العطاء ما دام عطاء... ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب... ."[31]

٤. الاستشهاد بالإسرائيليات:

الإسـرائيليات: جمـع إسـرائيلية، نسـبةً إلى بـني إسـرائيل. وإسـرائيل هـو يعقـوب بـن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، ومَن تناسل منهم إلى عهد موسى عليه السلام، ومَن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام، وقد عُرفوا باليهود أو بيهود. أمَّا مَن آمنوا بعيسى فيُطلَق عليهم اسم النصارى.[32]

ولفظ "الإسرائيليات" وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للقصص والروايات من الأخبار، فإنَّ المراد به أوسع من ذلك وأشمل، فيعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسـير؛ إذ إنّ إطـلاق هـذا اللفـظ علـى جميـع ذلـك هـو مـن بـاب التغليـب للجانـب اليهودي.

---

[29] ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد. **العلل**، د.م: مطابع الحميضي، ط١، ٢٠٠٦م، ج٦، ص٥٦١. انظر أيضاً:
- **مسند أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج١٠، ص٣٠٩، حديث رقم٦١٦٨.

[30] العسود، وائل إبراهيم محمود. **الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى**، عمَّان: دار الفرقان، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٣، ٣٨، ٤٧، ٥٣، وغيرها؛ فقد أورد المؤلِّف أحاديث يصحِّحها أو يحسِّنها، ولا تسلم له.

[31] الطبراني، سليمان بن أحمد. **مسند الشاميين**، تحقيق: حمدي السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤م، حديث رقم٦٥٨.

[32] أبو شهبة، محمد بن محمد. **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، د.م: مكتبة السُّنة، ط٤، ١٤٠٨هـ، ص١١.

ويُقصَد بالإسرائيليات الأخبار المروية عن علماء أهل الكتاب إلى عهد النبي ﷺ مما فيه إخبار عن أمر مضى من بدء الخليقة، أو سيأتي إلى قيام الساعة.[٣٣] وبناءً على هذا التعريف، لا يُعَدُّ ما صحّ عن رسولنا ﷺ من الإسرائيليات، وإن كان خبراً عن قضايا تتصل بهم، بيد أنه قد تنسب أحاديث من ذلك إلى رسولنا ﷺ، ولكنَّها لا تصح؛ لذا وجب التحرّي.

ونقلت بعض كتب التفسير والرواية شيئاً من هذه الإسرائيليات، من دون تمييز صحيحها من ضعيفها في أغلب الأحيان، مستدلين بما رواه عَبْد اللَّه بْن عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ."[٣٤]

وبما روي عَنِ ابْنِ أَبِي نَمْلَةَ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: "إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلاً لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ."[٣٥]

فيزعمون أنَّه لا يشترط فيه الصحة ما دامت هي مجرد أخبار، والواقع أنَّ هذه من الأمور التي تسلَّلت إلى بعض كتبنا، ولا ينبغي، وتزداد الخطورة عندما ينسب بعضها إلى

---

[٣٣] المرجع السابق، ص١١. انظر أيضاً:
- الذهبي، محمد السيد حسين. **التفسير والمفسرون**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، دون تاريخ، ج١ ص١٢١.
- الذهبي، محمد السيد حسين. **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٤، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١٣.

[٣٤] البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، بيروت: بيت الأفكار الدولية، الأردن، ط١، ٢٠٠٨، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم٣٤٦١. انظر أيضاً:
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم٦٦٤٢.
- الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥، حديث رقم٢٨٨١.

[٣٥] أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، حديث رقم٣٦٤٤. انظر أيضاً:
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٧٦٨٨.
- الألباني، محمد ناصر الدين. **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض: دار المعارف، ط١، ١٩٩٥م، حديث رقم٢٨٠٠.

رسول الله ﷺ، وكان الواجب الإعراض صفحاً عن جميع هذه الإسرائيليات؛ لأنَّها -في نهاية المطاف- مصدر غير سليم، يؤثِّر في ثقافة المسلمين، ولا يجوز لمسلم أن يكون له مصدر يؤثِّر في ثقافته سوى الكتاب والسُّنة وما والاهما؛ ذلك أنَّ هذه الإسرائيليات إمَّا أنَّها مما لم يصحّ فكيف يجوز روايتها، وإمَّا أنَّها مخالفة للشرع كالتي تقدح بالأنبياء أو الملائكة، فمن باب أَوْلى الإعراض عنها وعن روايتها، وإمَّا أنَّها مما لا نستطيع تمييزه؛ فهي تحتمل الصدق والكذب. فالإنشغال في مثل هذه القضايا ضرره أكثر من نفعه، ويشغل كثيراً عن حسن التدبُّر والتأمُّل من كتاب الله. فإن قال قائل: ما العمل إن صحَّت هذه الروايات عن رسول الله ﷺ؟ وأين تذهب بحديث "وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..."؟ أقول: لقد بيَّنت أنَّ ما ثبت عن رسولنا ﷺ من غير شذوذ ولا علّة لا يُعَدُّ من الإسرائيليات أبداً، ولكنَّ الإشكال في ادِّعاء نسبة بعضها إلى رسول الله ﷺ، وهي في الواقع مما لا يثبت، وهذا يحتاج إلى بحوث تفصيلية. أمَّا قوله: "وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... " فيمكن أن يُفهم على معنى: حدِّثوا عمَّا وقع فيهم من انحرافات ومخالفات خطيرة وتصرفات سيئة، وما أنزل الله فيهم من عقاب مما أخبرنا عنه سبحانه، أو أخبرنا به الرسول ﷺ مما فيه العظة والعبرة. أمَّا أن نأتي إلى أخبارهم وقصصهم لنرويها بوصفها مواعظ من دون تحرٍّ أو معرفة صحة فهذا مما لا يقبله منطق الشرع، وقد قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ (الحجرات: ٦)، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ (الإسراء: ٣٦).

وحسبك للتدليل على خطورة هذا الموضوع ما قد يوردونه في قصة هاروت وماروت، وخاتم سليمان، وقصة داود مع زوجة قائدٍ عنده.[٣٦]

ومن نماذج الإسرائيليات من مرويات المستقبل، مما ينسب إلى رسولنا ﷺ ولا يصح، ما يروى في قصة يأجوج ومأجوج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم:

---

[٣٦] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، تفسير آية رقم١٠٢، ج١، ص١١٧، وسورة ص، ج٤، ص٢٨، ٣١.

ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيعودون إليه كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء؛ فيبعث الله عليهم نغفاً في رقابهم فيقتلهم بها. قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده إنَّ دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم."[٣٧] قال ابن كثير: "إسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنَّهم لم يتمكَّنوا من ارتقائه، ولا من نقبه؛ لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكنَّ هذا قد روي عن كعب الأحبار، ولعل أبا هريرة تلقَّاه من كعب... فحدَّث به أبو هريرة، فتوهَّم بعض الرواة عنه أنَّه مرفوع، فرفعه، والله أعلم."[٣٨]

لا شكَّ في أنَّ الإسرائيليات تدسُّ السُّم في الدسم؛ إذ قد ينطوي بعضها على ما يخالف العقيدة الصحيحة من تجسيم لله تعالى، أو سوء أدب مع الأنبياء، وقد تعرض روايتها صورة مشوَّهة عن ديننا؛ ليبدو أشبه بالدين الخرافي، فضلاً عن صرفها المسلمين عن المقاصد العظيمة التي أرادها الله من إنزال القرآن العظيم؛ فتلهي عن تدبُّر آياته والانتفاع بها بما لا طائل من ورائه، مثل القصص التي أشرت إلى بعضها؛ أي قصة هاروت وماروت، والقصص المتعلقة بسليمان وداود عليهما السلام.

٥. رواية أحاديث الفتن والمستقبل لمجرد الرغبة بالإغراب وإمتاع المستمع دون القدرة على الفهم الدقيق:

وقد يورد لذلك ما لا يصح للسبب نفسه، مثل حديث أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النبي ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِباً

---

[٣٧] ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٠٩١٣. انظر أيضاً:

- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. **سنن ابن ماجة**، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، كتاب: الفتن، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى، حديث رقم٤٠٧٤. والنغف: دود يكون في أنف الإبل والغنم، واحدته نغفة.

[٣٨] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٣، ص٩٩.

إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ، وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثاً، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ". قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "قَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ هِشَامٍ: تِسْعَ سِنِينَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَبْعَ سِنِينَ."[٣٩]

٦. الحرص على مجرد سرد الروايات على المنابر والدروس دون القدرة على ربطها بالواقع، أو بيان حكمها وأحكامها، وكيف يستفاد منها في واقعنا:

هذه المسألة هي من جملة ما قد يقع من خطأ، والأمثلة عليها كثيرة، ولعل ما سبق من أمثلة ينضوي تحت ذلك؛ فتجد مَن يورد أحاديث الدجَّال، لكنَّه لا يربطها بالواقع من حيث التحذير من مسالك الدجالين وإغراءاتهم، وما يُفتن به الناس اليوم من مظاهر قوة العدو وإعلامهم وترغيبهم وترهيبهم.

٧. التنزيل الخطأ لروايات الفتن والمستقبل:

وهذا الأمر من أخطر ما قد يقع فيه بعض الدارسين وغيرهم؛[٤٠] وذلك أنَّهم يحرصون على تفسير الواقع الذي يعيشونه بأحاديث وردت من دون أن يحقِّقوا في مصداقية هذا التنزيل والتفسير، وأمثلة ذلك في واقعنا كثيرة، وسأعرض لذلك عند بيان المنهج الصحيح في هذا الأمر.

٨. إيراد أحاديث الفتن والمستقبل بغرض التخدير والإقعاد عن العمل، وتعليق آمال المسلمين بالغيب؛ للتقاعس عن أداء الواجبات، وإحداث مفاسد كثيرة:

---

[٣٩] أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، حديث رقم٤٢٨٦، وهو ضعيف.

[٤٠] النوباني، محمد. **دليل المرابطين لتحرير فلسطين**، عمَّان: د.ن، ط١، ٢٠١٢م.

ولعل من أبلغ الأمثلة على ذلك الروايات الكثيرة التي يوردونها في شأن المهدي، وأنَّه هو الذي سيقيم الخلافة الراشدة، وأنَّ خلافته هي الخلافة الوحيدة والأخيرة، وأنَّ على يده يكون تحرير البيت المقدَّس ولا غير، وأنَّه لا خلافة ولا فتح ولا تحرير إلا بعد ظهور صاحب الزمان (المهدي المنتظر)، ثم يزداد الأمر إشكالاً وغرابةً عندما تجد مَن يسوق روايات تتحدَّث عن الرايات التي تخرج من خراسان، أو قيام ما يسمى بدولة السفياني،[٤١] ثم سقوط دولته أمام دولةٍ لآل البيت. وبصرف النظر عن صحة الأحاديث وضعفها في هذا الشأن فإنَّ مثل هذه الفهوم، مع أنَّها لا تعتمد تحرير ما صح مما لا يصح، فيها من الخطورة الشيء الكثير.[٤٢]

٩. تبرير الواقع:

من الأخطاء التي قد يقع فيها بعضهم أنَّه في خضم رواية أحاديث الفتن والمستقبل تجده ينساق وراء تبرير الواقع المريض الذي تمرُّ به الأُمَّة، مثل: التسليم للمستبدين، والتعامل مع المحتل بوصف ذلك أمراً واقعاً، وينأى بنفسه عن التفكير في تخطيط المستقبل والسعي لإصلاحه، وقد يستشهد بعض هؤلاء بحديث: عَبْدِ الرَّحْمَن بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: "دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنزلْنَا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ،[٤٣] وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ؛[٤٤] إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلاَةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ

---

[٤١] لم يصح فيها شيء ألبتة. انظر رواياته في:
- المروزي، **الفتن والملاحم**، مرجع سابق، ص١٨٨-٢٣٠.

[٤٢] حوَّى، **الأساس في السُّنة وفقهها: العقائد الإسلامية**، مرجع سابق، ج٢، ص١٠١٤. انظر أيضاً:
- حوَّى، محمد سعيد. **مستقبل الصراع على الأرض المقدسة**، عمَّان: دار الرازي، ط١، ٢٠٠٥م.

[٤٣] أي: يترامون بالسهام على وجه المسابقة. انظر:
- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، ج٥، ص٧٢.

[٤٤] الجشر: مرعى الدواب. انظر:
- المرجع السابق، ج١، ص٢٧٣.

أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ، فَيُرَقِّقُ[٤٥] بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ... ."[٤٦]

إنَّنا بحاجة إلى فهم متكامل للنصوص؛ فإنَّ النصوص التي تأمر بطاعة أولياء الأمور هي التي بيَّنت أنَّ ذلك في طاعة الله، وبيَّنت أيضاً وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠. المبالغة في تضخيم الأحداث والتهويل، وتحميل النص ما لا يحتمل، على فرض صحته:

اعتاد بعض الدعاة أو الوعَّاظ المبالغة في الترهيب والترغيب، مما قد يؤدي إلى إيراد أحاديث لا تصح، وعلى هذا النحو نجدهم يسوقون بعض الروايات التي تتحدَّث عن موضوع ما؛ فتجد بعضهم يبالغ ويهوِّل في تصوير سوء الأمر واسوداد الحال وانسداد الأفق، ولعل من أسباب ذلك ما أشرنا إليه آنفاً من خلط الصحيح بغيره، وعدم الفقه الدقيق بالروايات، والانسياق وراء إشباع عواطف العامَّة، والتأثير فيهم،؛ فعندما يورد أحدُهم حديثَ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا."[٤٧] نجده يحاول إسقاط الحديث على واقعنا، ويزعم أنَّ الناس قد غدوا ممسين

[٤٥] أي: يمهد ويشوق للفتنة التالية ويحسّنها. انظر:
- المرجع السابق، ج٢، ص٢٥٣.

[٤٦] مسلم، بن الحجاج النيسابوري. **الجامع الصحيح**، بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٩٧٨م، كتاب: الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، حديث رقم٤٨٨٢.

[٤٧] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، حديث رقم٣٢٨. انظر أيضاً:
- الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق، حديث رقم٢٣٥٥.
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم٨٢٥١.

مؤمنين، مصبحين كافرين، وأنَّه لا أمل ولا مستقبل أمام هذا الواقع. وقد يورد آخرُ حديثَ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهْوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ... الحديث."[٤٨] ثم يبني على ذلك أنَّ كل هذه الأحاديث تتزامن مع واقعنا الآن، وأنَّها اجتمعت في وقت واحد، وأنَّه لا خير ولا أمل، مع ما يجرُّه ذلك من يأس وقعود، بالرغم من أنَّ النصوص إنما تعرض لأحوال متفرقة، فضلاً عن أنَّ بعضها ربما يكون في آخر الزمان وليس الآن.

١١. إصدار أحكام خاطئة في حق الخلق:

إنَّ عدم التدقيق في صحة الحديث (سنداً، ومتناً)، ثم عدم التدقيق في ألفاظه التي تصح، وتمييزها من الألفاظ الشاذة (هذا إن صح أصل الحديث)، أو عدم الفهم الدقيق للحديث وَفق النظرة الشاملة إلى النصوص، أو الخلط بين المفاهيم والمصطلحات؛ إنَّ كل ذلك يترتَّب عليه إصدار أحكام غير صحيحة في حق الناس، ولعل أبرز مثال على ذلك حديث افتراق الأُمَّة، عند مَن يصحِّحه؛[٤٩] فتجد مَن يجعل الحديث ميزاناً للحكم على

[٤٨] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، حديث رقم٧١٢١. انظر أيضاً:
- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، حديث رقم٢٢١٤.

[٤٩] للحديث ألفاظ وطرائق، منها: حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة. انظر:
- أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، حديث رقم٤٥٩٦.
- الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق، حديث رقم٢٦٤٢، ٢٦٤٣. انظر:
- الحاكم، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، حديث رقم٤٤٤. وصحَّحه بعض أهل العلم (الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، حديث رقم٢٠٣، ١٤٩٢هـ). ويرى الباحث عدم صحته؛ إذ وقف على دراسة للحديث أعدَّها الدكتور حاكم المطيري، وتوصَّل فيها إلى أنَّ كل طرق الحديث ضعيفة أو منكرة، إلا طريق أبي هريرة فيقرب من الحسن -في نظره- لكن لا يصح. انظر الموقع الإلكتروني:
- **نبراس الحق**، حديث: الافتراق بين القبول والرد:
- http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TmpJMEpsTjFZbEJoWjJVbU١RPT٠rdQ==.jsp

كل مَن خالف رأيه، وأنَّه في النار، وكلٌّ يدَّعي أنَّه يمثِّل الحق، والفرقة الناجية، وغيره هو المخالف، مع أنَّ هذه الألفاظ والروايات جميعاً تحتاج إلى دراسة علمية دقيقة، ليس هذا ميدانها.

ومن الأخطاء التي تشيع في هذا السياق تفسير الطائفة المنصورة[٥٠] بأنَّها هي الفرقة الناجية، وقرن ذلك بحديث الافتراق، بالرغم من اختلاف الموضوع الذي يطرحه كل حديث، ثم تجد كل فئة تدَّعي أنَّها هي التي توافق ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، مع أنَّه لو اتُّبع المنهج العلمي الدقيق في تحري الصحة (سنداً، ومتناً)، ومُيِّز الشاذ من الألفاظ من سواها، وجُمِعت النصوص كلها لحسُن الفهم؛ سيخرج الجميع بنتائج مختلفة.

١٢. النظرة السلبية إلى الفتن:

وهذا خطأ آخر في التعامل مع الفتن، يؤدي ببعضهم إلى الوقوع في اليأس، أو الانهيار نفسياً، أو الاستسلام، مع أنَّه قد يكون فيها خير كثير من حيث هي اصطفاء للهمم وشحذها، وارتقاء بالأُمَّة في مواجهة التحديات والأخطار، وتمحيص وتطهير وتمييز وفضح للمنافقين، وكشف للأعداء. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ (النور: ١١).

وحِكم الابتلاءات كثيرة، منها: ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ (آل عمران: ١٤٠-١٤١)، وقوله سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت: ٢-٣).

---

[٥٠] الواردة في حديث: "**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**. انظر:

- البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسُّنة، باب: قول النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي..."، حديث رقم ٧٣١١، ٣١١٦، ٣٥٩٣، ٣٦٤٠، ٧٤٥٩.
- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الإمارة، باب قول النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي..."، حديث رقم١٩٢٠، وينظر في صحيح مسلم أيضاً روايات أخرى برقم: ١٥٦، ١٠٣٧، ١٩٢١، ١٩٢٣ من طرق، وألفاظ متقاربة، واللفظ لمسلم.

فأدب المسلم يحتم عليه دائماً أن يسأل الله العافية؛ فإن وقع بلاء صبر، وفي الحديث: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ."[٥١]

وبعدُ، فهذه جملة من أهم الأخطاء والسقطات التي يقع فيها بعض الباحثين والدعاة، والتي حاولت جمعها والتنبيه عليها، ولا شكَّ في أنَّ ثمَّة أخطاء غير ذلك لا يتسع المقام لذكرها في هذا الموضع.

ثالثاً: قواعد وضوابط في منهجية التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل

بعد أن استعرضنا أهم أخطاء بعض الباحثين والدعاة في تعاملهم مع أحاديث الفتن والمستقبل، فإنَّنا نورد بعض الضوابط والقواعد التي يتعيَّن على الجميع اتباعها:

١. التحقّق من صحة الحديث؛ سنداً ومتناً:

لئن كان ردُّ الحديث الضعيف أمراً واضحاً، فإنَّ مما يلاحظ هنا أنَّ بعض الباحثين ربما اقتصر على دراسة ظاهر السند من دون النظر في نقد المتن وَفق الضوابط النقدية التي بيَّنها أهل العلم، لذلك وجدنا الإمام ابن القيم -رحمه الله- قد ذكر في كتابه "المنار المنيف"[٥٢] جملةً من القواعد والضوابط التي تنبئ عن عدم صحة الحديث من حيث متنه، ولا أود الآن الخوض في هذا الأمر؛ أعني نقد المتن وضوابطه، فلذلك كتبه المتخصصة،[٥٣] ولعل من نماذج النصوص التي صُحِّحت سنداً، والتي يتعيَّن النظر بعين الناقد في متنها: حديث الجسّاسة الذي روي من طريق فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ.[٥٤]

[٥١] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، حديث رقم٢٩٦٦. انظر أيضاً:
- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الجهاد والسير، باب: كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس، حديث رقم١٧٤٢.

[٥٢] انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، الرياض: دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[٥٣] الإدلبي، صلاح الدين. **نقد المتن عند علماء الحديث النبوي**، بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت. انظر أيضاً:
- العكايلة، سلطان. **نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية**، عمَّان: دار الفتح للنشر، ط١، ٢٠٠٢م.

[٥٤] مسلم، **الجامع الصحيح**، عمان، دار الأفكار الدولية، ط١، ٢٠٠٨، كتاب: الفتن، باب: قصة الجساسة، حديث رقم٢٩٤٢، ص١١٨١.

وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ومن وجوه نقده أنَّه مما تفرَّدت به فاطمة بنت قيس، مع أنَّه مما خطب به النبي ﷺ على المنبر، وقد اعترض عمر على بعض حديثها.[٥٥] ومن هذه الوجوه: أنَّه قد صح عن رسول ﷺ قول: "رأيتكم ليلتكم هذه، فإنَّ على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر أحد."[٥٦] وظاهر الحديث يخالفه؛ إذ يقتضي حياة الدجَّال واستمرارها. فبالنظر إلى بعض ما في متنه نجد أنَّ بعض أهل العلم قد توقفوا فيه، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله؛ إذ قال: "إنَّ النفس لا تطمئن إلى صحته عن النبي ﷺ لما في سياق متنه من النكارة"، وقال ابن عثيمين: "قد أنكره الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره إنكاراً عظيماً؛ لأن سياقه يبعد أن يكون من كلام النبي ﷺ (أي إنَّ في نفسه منه شيء، فهو لا يظهر له أنَّه صحيح لما فيه من الاضطراب، وفي بعض ألفاظه نكارة)."[٥٧]

قلت: قال رشيد رضا: "وجملة القول فيه أنَّ ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدَّة وجوه يدل على أنَّه مصنوع، وأنَّه على تقدير صحته ليس له كله حكم المرفوع."[٥٨]

ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى الحذر من دعوى العمل بالحديث الضعيف؛ لأنَّ قضايا الفتن والمستقبل ليست من فضائل الأعمال ابتداءً، بل هي أمور غيبية، والحديث عنها بغير علم ولا دليل لا يجوز، ومَن قال بجواز العمل بالضعيف وضع له شروطاً دقيقةً لا تتوافر هنا.[٥٩]

---

[٥٥] ذكر الشوكاني هذا الإشكال وأجاب عنه. انظر:
- الشوكاني، علي بن محمد. **نيل الأوطار**، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة، سنة النشر، ج٦، ص٣٠٤.

[٥٦] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: السمر في العلم، حديث رقم١١٦، ٥٦٤. انظر أيضاً:
- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم، حديث رقم٢٥٣٧.

[٥٧] وقد صرَّح في ذلك بعض "الباب المفتوح" عندما سُئل عن حديث الجسّاسة. انظر:
- العثيمين، محمد بن صالح. **لقاء الباب المفتوح**، رقم اللقاء ١٦٨.
- العثيمين، محمد بن صالح. **رسائل وفتاوى ابن عثيمين**، دار الوطن، باب: اليوم الآخر، مج١١، رقم الفتوى١٤٨، ١٩٩٤م.

[٥٨] رضا، محمد رشيد. **تفسير المنار**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ج٩، ص٤٩٦.

[٥٩] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **تدريب الراوي**، دار طيبة، مصور عن دار الفكر، د.ت، ج١، ص٢٣٢. انظر أيضاً:

٢. التحري في ألفاظ الحديث الصحيح نفسه:

قد يكون في بعض ألفاظ الحديث الصحيح ألفاظ شاذة، أو زيادات لم يقبلها العلماء، ومن ذلك حديث حذيفة بن اليمان؛ فقد ورد بألفاظ صحيحة أخرجها الشيخان.[60]

وقد أخرجه مسلم من طريق فيه زيادة بلفظ: "قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع."[61] فهذا اللفظ لم يرد في سائر الروايات الصحيحة، وهو غير صحيح،[62] ومن هنا يتبيَّن لنا كم هي دقيقة مهمة الباحثين والدارسين؛ إذ إنَّهم يوردون هذه الرواية.

وبعضهم يورد حديث الطائفة المنصورة،[63] ثم يورد زيادة لا تصح، هي: "أنتم شرقي النهر وهم غربيه."[64]

- القاسمي، جمال الدين بن محمد سعيد. **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٨٠هـ، ص١١٣.
- عتر، نور الدين محمد. **منهج النقد في علوم الحديث**، دمشق: دار الفكر، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٢٩٢.

[60] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦٠٦. انظر أيضاً:
- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، حديث رقم١٨٤٧.

[61] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، حديث رقم ١٨٤٧/٥٢.

[62] بيَّن الدارقطني عدم صحة هذه اللفظة؛ لأنَّها مما تفرَّد بها أبو سلام عن حذيفة، ولم يسمع منه. انظر:
- ابن زكي، يوسف بن عبد الرحمن. **تهذيب الكمال**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٠م.

[63] سبق تخريجه.

[64] أخرجها ابن أبي عاصم، في:
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو. **الآحاد والمثاني**، الرياض: دار الراية، ط١، ١٩٩١، حديث رقم٢٤٥٨، وفي سندها يزيد بن يزيد بن جابر، مجهول. انظر:
- ابن حجر، أحمد بن علي. **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، حلب: دار الرشيد، ط٤، ١٩٩٢م، رقم ترجمة الراوي ٧٧٩٢.
- الطبراني، **مسند الشاميين**، مرجع سابق، حديث رقم ٦٣٨. وفي سنده إضافة ليزيد: "يحيى الحماني، متهم". انظر:
- ابن حجر، **تقريب التهذيب**، مرجع سابق، حديث رقم ٧٥٩١.

٣. التحري في الفهم الدقيق للنصوص القائم على جمع الألفاظ وضبطها:

يُشترط في هذا الفهم أن يكون قائماً على فهم الراسخين في العلم، ومنضبطاً بقواعد اللغة والقواعد الأصولية المعروفة عند أهل العلم، ومراعياً أساليب العرب في الخطاب، ومعرفة مدلولات الألفاظ، وملاحظة النظرة الشمولية إلى النصوص بعيداً عن التأويل من غير ضوابطه الشرعية المعروفة؛ حذر الوقوع في شيء من التحريف، أو اتِّباع الهوى في التعامل مع النصوص، أو ليّ أعناقها.[٦٥] ومن أمثلة ذلك حديث جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: "لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِماً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: عُصَيْبَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الأَبْيَضَ بَيْتَ كِسْرَى أَوْ آلِ كِسْرَى."[٦٦] فيفسِّرون البيت الأبيض بأنَّه مركز الحكم في أمريكا.

ويعتقد بعضهم أنَّ حديث ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ، فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ"[٦٧] على صراعنا مع يهود اليوم، في حين لو جُمعت كل ألفاظه لتبيَّن أنَّه في وقت ظهور الدجَّال ونزول المسيح.[٦٨]

٤. البُعْد عن التنزيل الخطأ أو المتسرع على الواقع:

فمن شروط هذا التنزيل أن يكون بدليل صريح بيِّن لا لبس فيه، مع التثبُّت من الصحة، ومراجعة أهل العلم، وعدم الجزم في كل ذلك، وعدم بناء مواقف على هذا

وقد انقلبت عند الطبراني، فجعل المسلمين غربي النهر، ثم فيه: "ذكر الدجال أو المشركين وليس اليهود".

[٦٥] انظر: الموقع الإلكتروني لرسالة الإسلام. **ندوة فهم السُّنة النبوية: الضوابط والإشكالات**، إشراف الشيخ الدكتور: عبدالعزيز الفوزان، تاريخ: ٤/٦/١٤٣٠هـ.

[٦٦] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقريش، حديث رقم١٨٢٢.

[٦٧] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الجهاد والسير، باب: قتال اليهود، حديث رقم٢٩٢٥. انظر أيضاً:

– مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم٢٩٢١.

[٦٨] حوَّى، **الأساس في السُّنة وفقهها: العقائد الإسلامية**، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٢٥.

التنزيل، بل تتخذ المواقف بناءً على أحكام الشرع والواقع المعيش؛ إذ يترتَّب على التنزيل الخطأ آثار خطرة، منها: الوقوع في تكذيب الله ورسوله ﷺ؛ إذ إنَّه لا يوافق الواقع، ويجعل الناس يعيشون في أوهام، وربما أوقعهم في اليأس، أو دفعهم إلى اتِّخاذ مواقف متسرِّعة مجانِبة الصواب، فضلاً عن تعطيل النصوص عن مقاصدها،[٦٩] وتقويل النبي ﷺ ما لم يقله. وقد يؤدي إلى القيام بعمل غير مشروع، أو ترك عمل مشروع، أو تهيئة المناخ المناسب لتصديق دعاة الضلالة، أو استغلاله في تحقيق مآرب خاصة. ولعل في إيراد بعض الأمثلة على التنزيل الخطأ ما يوضِّح الأمر:

عندما كانت واقعة الحرب الأمريكية على العراق وجدنا مَن ينزل عليها حديث عوف بن مالك ﷺ، قال: "أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أَدَم، فقال: اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدِرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً."[٧٠] فإذا ورد في الحديث كلمة ثمانين غاية، وإذا اشترك في هذه الحرب ثلاثون دولة، وحيث إنَّ أمريكا خمسون ولاية؛ وجدت مَن يقول: إنَّ الحديث يتكلَّم عن ذلك. أقول: إنَّ هذا تنزيل مجانب للصواب ولا شكَّ. وقد ورد حديث عوف بزيادة فيها: "ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ فَيُقَاتِلُونَكُمْ وَالْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ"[٧١] فتجد مَن يحمل الحديث على أحداث سوريا اليوم.

---

[٦٩] العجيري، عبد الله بن صالح. **معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث**، ص١٩-٣٢، في الموقع الإلكتروني: http://www.dorar.net/article/54.

وانظر سرد بعض الكتب التي ينبغي الحذر منها مما ينزل النصوص تنزيلاً غير صحيح، أو يعتمد ما لا يصح، في الحاشية رقم١.

[٧٠] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الجزية، باب: ما يحذر من الغدر، حديث رقم٣١٧٦.

[٧١] ابن حماد، نعيم. **الفتن**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م، حديث رقم٧١، ص٢٧، انظر أيضاً:

- أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، حديث رقم٤٦٤٠ مرسلاً بلفظ: "مَوْضِعُ فُسْطَاطِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلَاحِمِ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ". انظر:
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٧٤٧٠، ج٢٩، ص١٣.

وقد سمعت بعضهم ينزل حديث ذِي مِخْبَرٍ، رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "سَتُصَالِحُكُمُ الرُّومُ صُلْحاً آمِناً ثُمَّ تَغْزُونَ وَهُمْ عَدُوّاً، فَتُنْصَرُونَ وَتَسْلَمُونَ وَتَغْنَمُونَ، ثُمَّ تَنْصرُونَ الرُّومَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ صَلِيباً؛ فَيَقُولُ: غلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُومُ إِلَيْهِ فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَغْدِرُ الرُّومُ وَيَجْمَعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ."[٧٢] على أنَّ المقصود به أنَّ أهل السُّنة يتحالفون مع الغرب (النصارى) لمقاتلة الشيعة. إنَّ كل هذا مما يخشى فيه أن نقع في التقوُّل على رسول الله ﷺ مما لم يقله أو لم يرده، أو أن نتخذ مواقف لا تصح.

ومن الأمثلة في هذا الصدد الحصار الذي تعرَّض له العراق؛ فقد أخذ بعضهم يردِّدُ حديثَ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ."[٧٣] ثم أخذوا يبنون على ذلك أنَّ الحصار التالي هو للشام ومصر، مع أنَّنا لو تأمَّلنا الحديث لوجدناه لا يتكلَّم عن حصار الآخرين للعراق، وإنما يتكلَّم عن امتناع العراق عن أداء ما عليها، ولهذا فلا يمكن أن يكون مرتبطاً بواقعنا الآن.

والأغرب من ذلك أنَّ بعض الباحثين يوردون حديثَ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَوَّلُ هَذَا الْأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتَكَادَمُونَ عَلَيْهِ تَكَادُمَ الْحُمُرِ،[٧٤] فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ

---

[٧٢] ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، ج٤، ص٩١، ج٥، ص٤٠٩. انظر أيضاً:
- أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر من ملاحم الروم، حديث رقم٤٢٩٢.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣م، حديث رقم٦٧٠٨، وسنده صحيح.

[٧٣] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات، حديث رقم٢٨٩٦. انظر أيضاً:
- أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، كتاب: الخراج والإمارة، باب: إيقاف أرض السواد، حديث رقم٣٠٣٥.
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم٧٧٧٦.

[٧٤] تكادم الحمر: الكدم هو العض بأدنى الفم. انظر:
- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، مرجع سابق، ج٤، ص١٥٦.

جهادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلَانُ."[٧٥] فيقولون إنَّ المقصود به هو الأحداث التي تجري في غزة الآن، (منذ عام ٢٠٠٦م) بوصف غزة جزءاً من عسقلان التاريخية.[٧٦]

ومن النماذج الخطيرة في سوء التنزيل والفهم، مع أنَّها لا تصح، ما رواه أبو نعيم، قال: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، وَرِشْدِينُ، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، عَنْ أَبِي رُومَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ فَالْزَمُوا الْأَرْضَ فَلَا تُحَرِّكُوا أَيْدِيَكُمْ، وَلَا أَرْجُلَكُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ، هُمْ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ، لَا يَفُونَ بِعَهْدٍ وَلَا مِيثَاقٍ، يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، وَنِسْبَتُهُمُ الْقُرَى، وَشُعُورُهُمْ مُرْخَاةٌ كَشُعُورِ النِّسَاءِ، حَتَّى يَخْتَلِفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْحَقَّ مَنْ يَشَاءُ."[٧٧] فيوردها بعضهم لينزلها على واقعنا، وهي مما لا يصح؛ ففيها ابن لهيعة، وأبو قبيل،[٧٨] وكلاهما مضعَّف، وهي رواية موقوفة، والأرجح أنَّ ذلك مما وُضع لنصرة العباسيين، بدليل الرواية الآتية، وإن كانت لا تصح أيضاً:

قال أبو نعيم: حَدَّثَنَا سَعِيدُ أَبُو عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا جَابِرٌ الْجُعْفِيُّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: "إِذَا بَلَغَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَاخْتَلَفَتْ سُيُوفُ بَنِي أُمَيَّةَ، وَوَثَبَ حِمَارُ الْجَزِيرَةِ فَغَلَبَ عَلَى الشَّامِ، ظَهَرَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَيَظْهَرُ الْأَكْبَشُ مَعَ قَوْمٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ، شُعُورُهُمْ إِلَى الْمَنَاكِبِ، لَيْسَتْ لَهُمْ رَأْفَةٌ وَلَا رَحْمَةٌ عَلَى عَدُوِّهِمْ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، وَقَبَائِلُهُمُ الْقُرَى، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ كَلَوْنِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَقُودُ بِهِمْ إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ وَهْنَى دَوْلَتُهُمْ، فَيَقْتُلُونَ أَعْلَامَ ذَلِكَ الزَّمَانِ حَتَّى يَهْرُبُوا مِنْهُمْ إِلَى

- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. **مختار الصحاح**، بيروت: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط٥، ١٩٩٩م، مادة: كدم.

[٧٥] الطبراني، سليمان بن أحمد(٣٦٠هـ). **المعجم الكبير**، القاهرة، دار ابن تيمية، ط٢، بلا تاريخ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، حديث رقم١١١٣٨. انظر ايضاً:
- الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، حديث رقم٣٢٧٠.

[٧٦] النوباني، **دليل المرابطين لتحرير فلسطين**، مرجع سابق، ص١٠٥.

[٧٧] أبو نعيم، **الفتن**، مرجع سابق، حديث رقم٥٧٣.

[٧٨] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، مرجع سابق، حديث رقم٣٥٦٣، ١٦٠٦.

الْبَرِيَّةِ، فَلَا تَزَالُ دَوْلَتُهُمْ حَتَّى يَظْهَرَ النَّجْمُ ذُو الذَّنَابِ، وَيَخْتَلِفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ."[٧٩] فهذه الرواية لا تصح؛ إذ إنَّ فيها الجعفي، وهو متهم،[٨٠] وهي معضلة.

٥. سياق أحاديث الفتن والمستقبل في إطار من إدراك كامل لمقاصدها وحِكمها:

ويشمل ذلك عرض الأحاديث بما يحقِّق هذه المقاصد والحِكم، مثل الإشارة إلى أنَّها من أعلام النبوة، ومن وجوه معجزات النبي إن صحَّت وثبتت، وسياقها يعزِّز الإيمان في القلب، ويجعل منها تنبيهاً للأُمَّة أو تحذيراً لها أن تقع في أسباب هذه الفتن، وإن وقعت؛ فلكي تسعى الأمة إلى العلاج وَفق الهدي النبوي، وأن تساق هذه الأحاديث لتحرير المسلم من الخور والضعف والهزيمة النفسية، ولبث الأمل في النفوس؛[٨١] إذ إنَّ كثيراً من هذه النصوص يتحدَّث عن قضايا مشرقة أيضاً، مثل: حديث الطائفة المنصورة،[٨٢] وحديث ثَوْبَان، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا – أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا – حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً."[٨٣] وحديث تَمِيمٍ الدَّارِي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ

[٧٩] أبو نعيم، **الفتن**، مرجع سابق، رقم: ٥٦٦.

[٨٠] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، مرجع سابق، حديث رقم٨٧٨.

[٨١] ذكر في بداية البحث بعض حِكم أحاديث الفتن.

[٨٢] سبق تخريجه.

[٨٣] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الفتن، باب: هلاك هذه الأُمَّة بعضهم ببعض، حديث رقم٢٨٨٩. انظر:

- الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق، حديث رقم٢٣٣١.
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٧٥٨٠.

مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزّاً يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ وَذُلّاً يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ."[٨٤]

وأن تساق هذه النصوص ليستضاء بها في فهم الواقع المعيش، مع دقة المعالجة، كما أشرنا من قبلُ، في التحذير من التنزيل الخطأ.

٦. النظرة الشاملة، وعدم النظرة الجزئية إلى النصوص:

يغلب على بعض الدارسين والباحثين التعامل مع النصوص مجزَّأةً، من غير أن تكون هنالك نظرة شاملة؛ سواء ما يتعلق بموضوعنا (أحاديث الفتن والمستقبل) أو غيره من الموضوعات، فتجد بعضهم يقتصر على إيراد بعض الأخبار عن الفتن من دون أن يضعها في سياقها من مجمل الأحاديث المتصلة بالموضوع، وقد يكون بعضها متمِّماً للصورة؛ كأن يكون فيه بث لروح الأمل، أو تفسير أو بيان للمراد، وهذه النظرة الجزئية إلى النصوص مرتبطة بظاهرة أُخرى تفشَّت في عصرنا، هي ظاهرة التدين الفردي والتجزيئي، فتجد بعض المسلمين حريصين على أداء الصلاة والعبادة، لكنَّهم ينأون بأنفسهم عن واقع الأُمَّة، وقد تجدهم يأخذون بجانب من الإسلام مثل العبادات، في حين يستحيلون إلى أشخاص آخرين في ميدان المعاملات والأخلاق. ولا شكَّ في أنَّ ظاهرة النظرة التجزيئية إلى النصوص أثَّرت سلباً في جوانب حياتنا كلها، بما في ذلك قضية أحاديث المستقبل. فلو أخذنا -مثلاً- حديث حذيفة بن اليمان: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير..."[٨٥] لوجدنا أنَّ فهمه لا يكتمل إلا بجمع طرقه وألفاظه، مع ربطه بحديث آخر هو حديث: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون."[٨٦] وكذا الحال بالنسبة إلى كُنْه الطائفة المنصورة[٨٧] الواردة في الحديث؛ فإنَّه لا يمكن تحديدها إلا بجمع ألفاظ الحديث كلها.

---

[٨٤] ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٧٤٢٠. انظر أيضاً:
- البيهقي، أحمد بن الحسين. **سنن البيهقي**، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٩٩٤م، حديث رقم١٩٠٩٠.

[٨٥] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة، حديث رقم٣٦٠٦. وكتاب: الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم يكن جماعة، حديث رقم٧٠٨٤. انظر أيضاً:
- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، حديث رقم١٨٤٧، ص٥١.

[٨٦] أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، ص٤٣٣. انظر أيضاً:

٧. الاقتصار على نصوص القرآن والسُّنة، والبُعْد عن المصادر الأُخرى:

فقد لاحظنا أنَّ بعض الدارسين والدعاة ربما يرجعون إلى كتب غير موثَّقة، مثل: كتاب "الجفر"، وكتاب "شمس المعارف"، أو كتب جَمعت الغث والسمين، مثل كتاب: "عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر" للسلمي، وكتاب "الفتن والملاحم" لنعيم بن حماد المروزي، حتى إنَّ بعضهم قد يلجأ إلى الروئ والمنامات، وكل ذلك من الأخطاء الخطيرة، فضلاً عن لجوء آخرين إلى العهد القديم أو العهد الجديد، واستصدار أحكام، وتفسير واقع، وتثبيت وقائع لا تمت إلى العلم بصلة. خذ –مثلاً– ما قاله فاروق الدسوقي في كتابه "القيامة الصغرى على الأبواب": "ولـمَّا شعرت بخطر شخصية السفياني، وعظم الأحداث والفتن التي تعاصره، رجعت للكتاب المقدَّس، لكي أجمع كل النصوص التي تتحدَّث عنه أو جُلَّها، وتفسيرها في ضوء القرآن الكريم" إلى أن يقول: "وإذا بجميع هذه النصوص والأخبار عن هذه الشخصية في الوحيين القديم والخاتم، تتطابق مع واقع الرئيس العراقي المعاصر من حيث الصفات والأحداث."[٨٨] فانظر إلى خطورة هذا التفكير، وخطورة هذه المنهجية، مع أنَّ شيئاً من ذلك لا يصح.

٨. مراجعة العلماء المحققين قبل القطع بثبوت حديث، أو فهم ما، أو تنزيل على واقع:

إذ يلزم التحري الشديد والتأني في ذلك؛ فقد نجد بعض الباحثين والأئمة يسارعون إلى تنزيلٍ لإثبات قدرتهم على الاكتشاف والمعرفة، وعلى هذا المنهج في التحري جرى السلف الصالح. فعَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، قَالَ: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ ﵁، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الفِتْنَةِ؟ قُلْتُ: أَنَا كَمَا

– ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٣، حديث رقم١٨٠٤٤.
– البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو. **البحر الزخار**، المدينة المنورة: دار مكتبة العلوم والحكم، ط١، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٣٢١، حديث رقم٢٧٩٦.
– البيهقي، أحمد بن الحسين. **دلائل النبوة**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ، حديث رقم ٢٨٣٤. من طريق دَاوُد بْن إِبْرَاهِيمَ الْوَاسِطِيِّ، قال: "حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ سَالِمٍ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ"، فذكره.

[٨٧] سبق تخريجه.

[٨٨] المقدم، أحمد إسماعيل. **المهدي وفقه أشراط الساعة**،: الدار العالمية، ٢٠٠٢م، ص٦٢٠.

قَالَهُ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: "فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ"، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنِ الفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ البَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ، قَالَ: إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ البَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ الغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: البَابُ عُمَرُ.[٨٩]

وفي حديث أبي نضرة، قال: كنَّا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم ثم سكت هُنَيَّة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعدُّه عدداً"، قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا.[٩٠]

٩. البُعْد عن المشكل من الروايات إذا كان المتحدِّث ممن لا يستطيع إزالة اللبس أو الإشكال فيه:

ولعل من أمثلة ذلك حديث ابن صياد،[٩١] وفيه إشكالات كثيرة؛[٩٢] إذ يصوِّر النبي ﷺ أنَّه لا يعرف ﷺ من أمره شيئاً، وهو الذي يوحى إليه بما هو دون ذلك بكثير، وكيف

---

[٨٩] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة، حديث رقم٥٢٥. انظر أيضاً:

- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً، حديث رقم١٤٤.

[٩٠] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الفتن، باب: باب "لا تقوم الساعة حتى يمر..."، حديث رقم٢٩١٣. انظر ايضاً:

- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٣٩٩٧.

[٩١] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، ج١، حديث رقم١٣٥٤، ص٤٥٤. انظر أيضاً:

- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الفتن، باب: ذكر ابن صياد، ج٤، حديث رقم٢٩٣٠، ص٢٢٤٤. ويمكن أن تنظر ألفاظ أُخرى في:

يجوز أن يتخفى رسول الله ليعرف حاله؟ وكيف يتوقف أمر معرفة النبي ﷺ له على استراق السمع؟ وكيف يقول له: "خبأت لك خبأً"، ويطلع ابن صياد على بعضه،؛ إذ قرَّر سابقاً أنَّه خلط عليه، ويستحيل أن يوحى إليه (أي: إلى ابن صياد)؟ فما بقي إلا أن يلقى إليه من الشياطين، فكيف يسأله عن أمر لا يمكن أن يعرف لأنَّه من الغيب، والشياطين لا يعرفون الغيب؟ ما أود قوله هنا هو أنَّ بعضهم يورد هذا الحديث بالرغم من عجزهم عن تنقية هذه الروايات، أو الإجابة عن إشكالاتها.

ومن أمثلة ذلك حديث النواس بن سمعان، وهو حديث طويل في ذكر الدجَّال،[٩٣] وهذا الحديث فيه إشكالات عدَّة يتعيَّن التوقُّف عندها، مثل قصة قتل الرجل ثم إحيائه. والأصل أنَّ هذا من خصائص الألوهية، وإنَّ إيراد بعضهم الحديث من دون بيان قد يُشكِل على السامع، فنجد بعضهم يهتم بسرد هذه الروايات بقصد التأثير، أو الإمتاع، أو الإغراب من دون قدرة على البيان، أو النقد، وإزالة الإشكال.

١٠. البُعْد عن التكلُّف في فهم النصوص:

ليس شرطاً أن تربط كل فتنة تَجِدُّ أو حادثة تحدث بنص شرعي، ومَن نظر فيما مَرَّت به الأُمَّة من أحداث جسام علم صحة هذا، وأنَّ الله قد يُقدِّر على العباد أموراً ولا يخبرهم بها، بل هذا الأصل؛ فقد هُدمت الكعبة في عهد الحجاج، واعتُدي على الحجيج في المسجد الحرام، وأُخذ الحجر الأسود أيام القرامطة، ووقعت الحروب الصليبية، واحترق المسجد الأقصى في ظل الاحتلال، وليس فيما بين أيدينا من النصوص الصحيحة إشارة إلى مثل هذه الحوادث، فلا يصح والحالة هذه أن نفتعل صلةً بين النصوص وهذه

- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد، ج٤، حديث رقم٢٩٢٥، ص٢٢٤١.
- الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق،كتاب: الفتن، باب: ما جاء في ذكر ابن صياد، ج٤، حديث رقم٢٢٤٧، ص٥١٧.

[٩٢] انظر الإجابة عن بعض هذه الإشكالات في شرح الحديث في:
- ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٣، ص٢١٩، ج٦، ص١٧٢.

[٩٣] ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٨٠٩٦. انظر أيضاً:
- مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق،كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم٢٩٣٧

الحوادث، فنحمِّلها ما لا تحتمل، أو نلوي أعناقها لتدل عليها؛ فما إن تُلم بالمسلمين فتنة أو مصيبة حتى نجد بعض الكُتَّاب -في هذا الباب- يسارعون إلى إخراج الكتاب تلو الكتاب ليكشفوا عمَّا قال النبي ﷺ فيها، فإذا قرأتَ وفتَّشتَ لم تجد صلة بين الأمرين.

١١. عدم تحديد تواريخ وأوقات معينة لوقوع الفتن والملاحم أو الأحداث الكبرى:

قال القرطبي: "والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب أن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أنَّ ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة؛ فلا يعلم أحد أيّ سنة هي ولا أيّ شهر."[٩٤]

ونظراً إلى وجود نصوص تتحدَّث في ظاهرها عن مقدار عمر الأُمَّة، مثل حديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلا مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ"،[٩٥] وحديث سعد بن أبي وقاص ﵁، عن النبي ﷺ قال: "إِنِّي لأرجو أن لا يُعجِزَ الله أُمَّتي عند ربِّها: أن يؤخِّرَهُم نِصفَ يوم. قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة"؛[٩٦] فقد وجدنا مَن يفسِّر اليوم بأنَّه ألف سنة، وأنَّ المقصود أنَّ عمر الأُمَّة ١٥٠٠ عام، في حين لو اقتصروا على الصحيح وأحسنوا الفهم لعلموا أنَّ المقصود من ذلك التمثيل إلى قرب الساعة نسبياً؛ لما في حديث أَبِي مُوسَى ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلاً يَوْماً إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ... ."[٩٧] [٩٨]

---

[٩٤] ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي. **التذكرة**، عمَّان: دار عمار، ط١، ١٩٨٨م، **ج٢**، ص٤٧٧.

[٩٥] الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٣٨. قال الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر في **مجمع الزوائد**: "رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الأوسط والصغير رجال الصحيح".

[٩٦] أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، كتاب: الملاحم، باب: قيام الساعة، ج٤، ص١٢٥، وإسناده صحيح.

[٩٧] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الإجارة ، باب: الإجارة من العصر إلى الليل، ج٤، ص٤٤٧.

[٩٨] وجدت جملة من المصنَّفات التي يجب الحذر منها، وقد ذكرت بعضاً منها في الحاشية رقم١.

وقد رأيت بعضهم يتكلم عن مصير دولة يهود، ويحدِّد زمن سقوطها بعام ٢٠١٢م، أو ٢٠٢٢م،[٩٩] أو ٢٠٢١م،[١٠٠] معتمدين في ذلك على فهم خاص مستنبط من مجموع تلك النصوص من جهة، ثم مقارنتها ببعض الإسرائيليات، وما ورد في العهد القديم أو العهد الجديد، وربما اعتمدوا أيضاً على كتب لا يوثق بها، أو على حساب الجُمّل.

وربما جزم بعضهم فيما توصَّل إليه، وهذا كله مما لا ينبغي؛ إذ إنَّ منهج القرآن والسُّنة هاهنا يعتمد البيان الإجمالي كما لا يخفى، وإنَّ في تحديد آماد معينة تقويلاً للنصوص من جهة، وتعليقاً لأمل الناس بها من غير دليل، وربما أقعدهم ذلك عن العمل، ثم إذا جاء الزمن المحدَّد ولم يحدث المتوقَّع؛ فإنَّهم إمَّا يصابون بشيء من الإحباط، أو يساورهم شكٌّ وتكذيبٌ بالنصوص من حيث لا يدرون.[١٠١]

ومن هذا الباب ربما تعجَّل بعضهم في ترتيب علامات الساعة من غير جمع دقيق للنصوص.

١٢. الإيجابية في التعامل مع النصوص، والبُعْد عن القدرية الاستسلامية في التعامل مع النصوص:

لا شكَّ في أنَّنا نؤمن بكل ما صح عن الله ورسوله من أخبار المستقبل، وأنَّها واقعة لا محالة، لكنَّ هذا شيء، وأن نتعامل معها بوصفها قدراً نستسلم له ولا نسعى للخروج منه، أو تجنُّب مآسيه، أو التحذير منه فشيء آخر؛ أي إنَّ الواجب على المسلمين الأخذ بالأسباب والعمل والإعداد، وعدم الاستسلام للواقع، أو لما يُظن أنَّه يقع، وأن تكون النصوص سبباً دافعاً إلى مزيد من العمل والإعداد والتدبير والتخطيط والحذر، ولعل المثال الآتي يوضِّح هذا الأمر.

---

[٩٩] انظر الموقعين الإلكترونيين:

- http://www.alhawali.com/main/5898-2

الحوالي، سفر. **يوم الغضب**، ص٨٢، ٩٦، ١٠٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢.

- http://www.islamnoon.com/Derasat/Books_PDF/zawal.pdf

جرار، بسام. **زوال إسرائيل ٢٠٢٢: نبوءة أم صدفة في ضوء سورة الإسراء.**

[١٠٠] النوباني، **دليل المرابطين لتحرير فلسطين**، مرجع سابق، ص١٧٤.

[١٠١] حوَّى، **مستقبل الصراع على الأرض المقدسة**، مرجع سابق، ص١١٩ وما بعدها.

فَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: "سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا."[١٠٢]

يلاحظ على هذا الحديث أنَّ الله أجاب نبيه إلى أمرين هما خارج قدرة الأُمَّة الإسلامية بالمطلق؛ فتكفَّل الله بهما، أمَّا الثالث وهو أن لا يجعل بأسهم بينهم شديداً فلم يُجب إليها؛ لإنَّها ضمن التكليف الذي يجب أن نقوم به، فلا يجوز لقائل أن يقول: إنَّ الفرقة قدر وحتم، فلا بدَّ أن نستسلم له، ولا يمكننا الخروج منه، بل الواجب أن نسعى إلى البحث في أسباب الفرقة فنعالجها، وإلى أسباب الوحدة فنتحقق بها، وذلك امتثالاً للكثير من الآيات والأحاديث التي تأمرنا بالوحدة، ويقاس على ذلك سائر النصوص التي تتحدَّث عن فتن ستقع؛ فإنَّ الواجب تجاهها أن نسعى -ما استطعنا- إلى اتِّخاذ الأسباب لعدم وقوعها؛ إذ هو التكليف الرباني المطلوب، فالنص لا يحدِّد زمناً لها، وهي إن وقعت فلا بدَّ أن نعلم أنَّ ذلك بسبب تقصيرنا في الأسباب والأخذ بسنن الله، ولهذا فالواجب أن نسعى إلى الخروج منها بما يقتضيه المقام.

ومما يساق في هذا الصدد ما جاء عَنْ ثَوْبَان، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ."[١٠٣] فهذا الحديث ينبغي أن يُفهم بأنَّه يُحذِّرنا

---

[١٠٢] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، حديث رقم٧٤٤٢. انظر أيضاً:
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم١٥٩٦.

[١٠٣] أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، حديث رقم٤٢٩٩. انظر أيضاً:
- ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مرجع سابق، حديث رقم٢٣٠٦٠. حديث صحيح.
- الألباني، محمد بن ناصر الدين. **صحيح الجامع**، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٢، حديث رقم٨٠٣٥.

من مغبَّة الفرقة والاختلاف؛ وذلك باجتناب حُبِّ الدنيا وكراهية الموت، وأنَّه في حال حصل الذي حذَّرنا منه بتقصيرنا فعلينا أن نسعى أيضاً للعلاج، لا أن نستسلم.

١٣. ليس في حديث رسول الله ﷺ مما صح بلا علة ولا شذوذ في سنده أو متنه مما لا تدركه العقول، أو يُحذَر من التكلُّم فيه إن أُحسِن فهمه:

فإذا كان الأمر كذلك فلا نُسلِّم أنَّه أُخفي شيء من حديث رسول ﷺ، وأمَّا ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ."[١٠٤] فقد حمله بعضهم على أسماء بعض أمراء السوء وأحوالهم،[١٠٥] فلا يُسلَّم أنَّه في مرويات الفتن والمستقبل على وجه العموم.

وقد يقول قائل: نحن مأمورون بأن نحدِّث الناس بما يعقلون، فليس كل ما يعلم يقال، ولا كل صحيح صالح للنشر؛ لقصور العقول أحياناً عن تحمُّله، أو لسوء التعامل معه، أو لعدم تنزيل الكلام منازله الصحيحة، فعن علي رضي الله عنه قال: "حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله؟"[١٠٦] وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدِّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"،[١٠٧] وقال أيوب: "لا تحدِّثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم."[١٠٨]

وقال ابن حجر: "الْمُتَشَابِه لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَر عِنْد الْعَامَّة... وَمِمَّنْ كَرِهَ التَّحْدِيث بِبَعْضٍ دُون بَعْض أَحْمَد فِي الْأَحَادِيث الَّتِي ظَاهِرهَا الْخُرُوج عَلَى السُّلْطَان، وَمَالِك فِي أَحَادِيث الصِّفَات، وَأَبُو يُوسُف فِي الْغَرَائِب، وَمِنْ قَبْلهمْ أَبُو هُرَيْرَة كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهُ فِي الْجِرَابَيْنِ وَأَنَّ الْمُرَاد مَا يَقَع مِنَ الْفِتَن، وَنَحْوه عَنْ حُذَيْفَة وَعَنِ الْحَسَن أَنَّهُ أَنْكَرَ تَحْدِيث

[١٠٤] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم١٢٠.

[١٠٥] ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١، ص٢١٦.

[١٠٦] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: مَن خصّ بالعلم قوماً، حديث رقم١٢٧. قال الشاطبي معلِّقاً عليه: "فجعل إلقاء العلم مقيداً، فرب مسألة تصلح لقوم دون قوم". انظر:
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. **الموافقات**، دار ابن عفَّان، ط١، ١٩٩٧م، ٣٦/٥.

[١٠٧] مسلم، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، المقدمة، ج١، ص٧٦.

[١٠٨] البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، الرياض، دار مكتبة المعارف، د.ت، ج٢، ص١٤٩.

أَنَس لِلْحَجَّاجِ بِقِصَّةِ الْعُرَنِيِّينَ لِأَنَّهُ اتَّخَذَهَا وَسِيلَة إِلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدهُ مِنَ الْمُبَالَغَة فِي سَفْك الدِّمَاء بِتَأْوِيلِهِ الْوَاهِي، وَضَابِط ذَلِكَ أَنْ يَكُون ظَاهِر الْحَدِيث يُقَوِّي الْبِدْعَة وَظَاهِره فِي الْأَصْل غَيْر مُرَاد، فَالْإِمْسَاك عَنْهُ عِنْد مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ الْأَخْذ بِظَاهِرِهِ مَطْلُوب. وَاَللَّه أَعْلَم."[109]

أقول: هذا الأمر يتعلق بالقالب الذي يقدَّم به العلم، ومدى ملاءمة المقام للتحديث بهذا العلم، ويتعلق أيضاً بمضمون الخطاب؛ فالناس يسعهم من الجهل ما لا يسع طالب العلم والعالِم، فينبغي للمتحدِّث في هذا الباب أن يراعي هذه المسألة؛ لذلك قلت: لا بدَّ من اجتناب ما فيه متشابه أو مشكل، مما لا يستطيع المتحدِّث بيانه، فالعلة في قصور الفهم عند بعض، لا في النص إن صح بلا علة، أو إنَّ النص لا يصح ثم يظن صحته.

١٤. التعامل مع نصوص الفتن والمستقبل على وجه الاحتمال والظن الغالب إذا صحَّت بلا علة، وعدم الجزم على وجه القطع واليقين:

من المرجح أنّ أحاديث الآحاد تفيد الظن الغالب، ولهذا لـمَّا ذكر ابن الصلاح أنَّ ما اتَّفق عليه الشيخ مقطوع بصحته ويفيد العلم اليقين النظري،[110] ردَّ عليه النووي قائلاً: "وَخَالَفَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَالْأَكْثَرُونَ، فَقَالُوا: يُفِيدُ الظَّنَّ مَا لَمْ يَتَوَاتَرْ".[111]

وَقَالَ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: "المحققون والأكثرون قالوا أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة إنما تفيد الظن؛ فإنَّها آحاد، والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرَّر، ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، وتلقي الأُمَّة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما، وهذا متفق عليه؛ فإنَّ أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحَّت أسانيدها، ولا تفيد إلا الظن؛ فكذا الصحيحان؛ وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحاً لا يحتاج إلى النظر فيه، بل يجب العمل به مطلقاً، وما

[109] ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٢.

[110] ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان. **علوم الحديث**، بيروت: دار الحديث، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٨.

[111] النووي، يحيى بن شرف. **تقريب النووي**، المطبوع مع تدريب الراوي، بيروت: دار الفكر، د.ت، ج١، ص١٣٢.

كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأُمَّة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنَّه مقطوع بأنَّه كَلَام النَّبِيِّ ﷺ."[١١٢]

١٥. الحذر من كل المآخذ والأخطاء الآنف ذكرها:

ونخص بالذكر منها: إصدار أحكام غير صحيحة على الآخرين، والمبالغة والتهويل، واعتماد أسلوب الإثارة للإشغال عن العمل، وتبرير الواقع المعيش، والنظرة التشاؤمية الاستسلامية.

خاتمة:

انتهت هذه الدراسة الموجزة في كيفية التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل إلى نتائج قيمة وتوصيات مهمة نُجْمِلها فيما يأتي:

١. لفتُ النظر إلى أهمية الأحاديث المتعلقة بالمستقبل، وبيان جملة من حِكَم ذكر أحاديث الفتن وأشراط الساعة، مثل: التحذير، والإعداد النفسي والإيماني لمواجهتها، وحسن التعامل معها، فضلاً عن كونها أعلام نبوة، مما يؤكِّد ضرورة اعتماد منهجية علمية دقيقة في التعامل مع الروايات المتصلة بذلك.

٢. الوقوف على جملة من الأخطاء والإشكالات التي يقع فيها بعض الباحثين والمدرسين والدعاة، فضلاً عن العامَّة، ومنها:

- عدم التحري الدقيق لصحة الأحاديث.
- الاستشهاد بالإسرائيليات.
- رواية أحاديث الفتن لمجرد الإغراب والإمتاع.
- عدم القدرة على الفهم الدقيق لبعض الروايات، أو عدم ربطها بالواقع.

---

[١١٢] النووي، يحيى بن شرف. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١، ص٢٠.

- التنـزيل الخطأ للروايات ذات الصلة بالفتن والمستقبل؛ ما أفضى إلى ملابسات عدَّة، أو رواية نصوص ثم تعميمها، أو إسقاطها على غير واقعها؛ وهو ما أثَّر سلباً في الواقع المعيش، مثل: انتشار ظاهرة التدين الشكلي الفردي، والنظرة الجزئية إلى القضايا الشرعية، وتبرير الواقع، وترك العمل للإسلام بدعوى انتظار المهدي.

- ادِّعاء تواريخ محدَّدة لوقائع مستقبلية غيبية.

- المبالغة والتهويل من غير تحقيق، ولا تمحيص.

- الوقوع في اليأس، وتردِّي الحالة النفسية.

- إصدار أحكام غير صحيحة في حق الآخرين لسوء الفهم والضبط.

٣. تقديم بعض الضوابط والقواعد الخاصَّة بمنهجية التعامل مع أحاديث القصص والفتن والمستقبل، التي أهمها:

- التحقُّق من صحة الحديث؛ سنداً، ومتناً.

- جمع ألفاظ الحديث، وتحري الفهم الدقيق للنصوص، والنظرة الشاملة.

- البُعْد عن المصادر غير الموثوقة أو غير الإسلامية، مثل العهدين: القديم، والجديد.

- البُعْد عن المشكل، أو ما فيه إغراب.

- عدم التكلُّف في فهم النصوص، والدقة في التنزيل على الواقع، ومراجعة العلماء المحقِّقين.

- سياق النصوص في إطار بيان مقاصدها وحِكمها، وكيف نستفيد منها في واقعنا.

- تجنُّب تحديد تواريخ مستقبلية معينة.

- الإيجابية، والبُعْد عن القدرية الاستسلامية في التعامل مع النصوص.

- التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل بوصفها أحاديث تفيد الظن الراجح إن صحَّت، من غير القطع.

٤. الخلل في التعامل المنهجي الدقيق مع أحاديث الفتن؛ ما أثَّر سلباً في اتِّخاذ المواقف، وأفضى إلى الوقوع في الأوهام، والتواكل، والتقاعس عن أداء الواجبات، واليأس، والتقوُّل على الرسول ﷺ، والتنزيل الخطأ، وإصدار أحكام غير صحيحة، وتشويه صورة الإسلام والدين؛ وهذا يحتم التعامل بحذر مع أحاديث الفتن والمستقبل، والالتزام بالضوابط الآنف ذكرها.